AL-TAKWĪL AL- BAṬINĪ LI MUSṬALAHĀT AN-NAHWI (TAKAMUL AL-TASAWWUF WA AL-NAHWI)

***Zamzam Afandi*[1], *Arief Rahman Hakim*[2]**

[1]zamzam.afandi@uin-suka.ac.id, [2]ariefrahmanhakim@bsa.uin-malang.ac.id
[1]Universitas Islam Negeri Sunan Kalijaga, [2]Universitas Islam Negeri Maulana Malik Ibrahim
[1]Yogyakarta, Indonesia. [2]Malang, Jawa Timur, Indonesia

Abstract: This article aims to describe the perspective and how to interpret the Sufi's view of *nahwu* through the *irfani* (epistemology), which is the basis of the Sufistic knowledge system. This paper finds that the Sufis not only accept the concepts, theories, and terminologies of *nahwu* formulated by the experts, but also provide and add different substantive values than before. *Nahwu*, which is cognitive in nature, becomes spiritual by employing the *takwil irfani* approach, which emphasizes the esoteric dimension of each reality.

Keywords: muṣṭalahāt, *an-nahwi*, *irfani*, *takwil*

مقدمة

لما يقرب من ستة قرون (١-٦) ، حظى النحو باهتمام العلماء المسلمين. ولم يكن كل علم من العلوم الإسلامية التى تطورت فى تلك الفترة كالفقه، وعلم الكلام، أو التفسير بل حتى التصوف إلا وقد وظّف النحو أحد مبررات تحليلاته. و من المؤكد أنه لم يكن هناك أي علماء من أي تخصص الذي لم يتداول علم النحو. لذلك، تطور علم النحو تطورا باهرا حتى ظهرت مذاهب النحو مثل البصرة والكوفة و البغداد ومصر والأندلس مع علمائها.

نتيجة من ذلك، فإن علم النحو الذي كان في نشأته الأولى يهدف لعلاج الأخطاء اللغوية (اللحن) و تعليم تركيب الكلام الصحيح (النحو التعليمي) تطور وتغير إلى النحو التحليلي و النحو التعليلي (الحجة) أي يهدف كمبرّر للرأي أو المذهب الديني. و بالتالي، ظهر الخلاف في الاستقراء والاستنباط و في تفسير نصوص القرآن و الحديث. هذه الظاهرة هي التى أشار إليها البطليوسي فى كتابه المعنون بـ "الإنصاف في التنبيه على المعاني والأسباب اللاتي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم"، (البطليوسي، ١٩٨٧)

اشتد هذا الاختلاف مع انتشار الشروح و الحواشي لمؤلفات العلماء خاصة في علم النحو. وكتاب الأجرومية لأبي عبد الله سيد محمد بن داود الصنهاجي الشهير بابن أجروم (ت ١٣٢٤م) مثلا له أكثر من أربعة الشروح، منها شرح المقدمة الأجرومية لعبد الرحمن المكودي و شرح متن الأجرومية لأحمد زيني دحلان و التحفة السنية بشرح المقدمة الأجرومية لمحمد محي الدين عبد الحميد و شرح الأجرومية لأحمد بن علي بن منصور البجائي، و شرح الأجرومية لمحمد بن صالح العثيمين.

كثرة اعتناء الجانب المعرفي مع عرض تفسير النص من الجانب الظاهري هذه أدّت إلى حدوث الرد من العلماء، الصوفية على وجه الخصوص الذين لا

يقنعون بفهم النص و تفسيره إلى هذا الحد. منهم ابن عجيبة (١١٦٢-١٢٢٤هـ/١٧٤٨-١٨٠٩م) الذي يعلّق كتاب الأجرومية و سماه بالفتحات القدسية في شرح المقدمة الأجرومية.

والصوفية يزعمون أن كل الكائنات في هذا العالم تتكون من الجانبين: الظاهر و الباطن. والنص بكونه سرديا أو مصطلحيا أو نظريا أو فكريا كله فرع من هذه الكائنات (الوجود)، لا يستثنى منه النصوص النحوية. مثلا المقدسي (ت. ٦٧٨هـ/١٢٧٩م) وهو أحد الصوفية و الحكيم، و الواعظ، و الحافظ في كتابه تلخيص العبارة في نحو أهل الإشارة، و كذا القشيري في كتابه نحو القلوب الصغير والكبير، كلاهما يشرحان أن المعنى الأساسي لكلمة النحو هو القصد. و أهل العبارة يرون أن القصد من النحو تقويم اللسان، بخلاف أهل الصوفية الذين يرون أن القصد من النحو تقويم القلوب (المقدسي، ٢٠٠٨، صفحة ١٢١)

علماء التصوف (الصوفية) -على حد تفصيل- لا يضعون النظريات الجديدة في علم النحو. إنما هؤلاء يضيفون تأويلا جديدا، ومعنى باطنيا لمصطلحات النحو الموجودة ثم في نفس الوقت يضعون المصطلحات الخاصة التي توازي مصطلحات النحو.

التأويل كأساس النظرية

أ- التأويل البياني

هناك ثلاث المستويات للعلم في التقاليد الصوفية، تعود تسميتها إلى القرآن؛ علم اليقين(سورة التكاثر: ٥) و عين اليقين (سورة التكاثر:٧) و حق اليقين (سورة الواقعة: ٩٥) علم اليقين هي العلم المحصول عن طريقة التأمل (النظر و الاستدلال) و هو أدنى مستويات العلم. و المستوى العليا من العلم هو حق اليقين، وهو القدرة على مشاهدة الغيوب كمشاهدة المرئيات أو العيان. و أما عين اليقين فهو الموقف الوسطي أو حال الجمع بين التأمل و المشاهدة. (عزوز، ٢٠١٢، صفحة ٣٠)

وفيما يتعلق بمستويات العلم الثلاثة المذكورة أعلاه ، أوضح القشيري أن علم اليقين هو الذي يتم الحصول عليه باستخدام التأمل البرهاني، و عين اليقين محصول من التأمل البياني و حق اليقين ما يحصل بمشاهدة العيان .المستوى الأول من هذه المستويات هو لأرباب العقول، ثم المستوى الثاني هو لأصحاب العلوم ثم المستوى الثالث هو لأصحاب المعارف. (القشيري، ١٩٩٨، صفحة ١٩٩)

التأويل عند عادة النحاة داخل فى الإبيستيمولجي البياني، وهو تأويل أهل الظاهر. وهو المحاولة في تفسير النص يتجاوز عن معناه المعجمي أو التركيبي حسب متطلبات السياق، ولكن لا يزال يعتمد على لغة النص. وقد حدد محمد عيد التأويل النحوي بأنه صرف الكلام عن ظاهره إلى ما يحتاج إلى تدبر وتقدير. (عيد، ١٩٨٢، صفحة ١٨٥) يعني أن التأويل النحوي هو الطريقة التى يستخدمها الخبراء للتنسيق بين النص والمعنى داخل تركيب النص. وهذا ما صرح به محمد سالم الجد " أنه إذا ورد عن العرب الأقدمين نص يصادم قاعدة نحوية فإن النحاة يؤولونه بما يوافق قواعدهم النحوية " (عمشة، ٢٠٢١، صفحة ٨) ثم في عملية التأويل، وضع النحاة الجهاز المفاهيمي من عدد من المقولات تبدأ من الإضمار (إخفاء الضمير)، التقدير (توقّع وجود الحروف أو الكلمة أو الجملة المقدّرة)، التقديم (تقديم ما ينبغي وضعه في أخر الجملة من المفعول أو الفاعل)، التأخير (تأخير ما ينبغي وضعه في بداية الجملة

من الفاعل أو المفعول) الحذف (توقع حذف الجملة أو غير المذكورة) الزيادة (افتراض الحرف أو الكلمة فضلة ليست عمدة) و غيرها (عمشة، ٢٠٢١)

ب- التأويل العرفاني :الظاهر و الباطن

الظاهر و الباطن قبل أن يكونا مصطلح الصوفية إنهما يتجذران من القرآن (سورة الحديد: ٣) ثم أخذت الجماعة الشيعية هذان المصطلحان كفكرة أو طريقة لمعرفتهم. الظاهر يتمثل بالشريعة، و الباطن يتمثل بالحقيقة. سلطة الشريعة منوطة بشخصية النبي محمد صلى الله عليه و سلم، في حين أن سلطة الحقيقة منوطة بشخصية من نال وصية النبي وهو علي بن أبي طالب. في نظر الشيعة، أن قول علي ذات مرة "علمني رسول الله ألف باب العلم ولكل باب له ألف باب آخر ، لا يعرفه غيري" (عمران، ٢٠١٧، صفحة ٣٦)

ثم أخذ علماء الصوفية هذا التقيسم الشيعي لوضع نظرية تأويلهم. أبو نصر الصراج الطوسي مثلا يقول أن العلم ينقسم إلى الظاهر (الشريعة، أعمال تعبدية للجوارح) و الباطن (أعمال تعبدية للباطن وهي القلب)، كلاهما مكملان. كما أن القرآن والحديث لهما جانبان الظاهر والباطن ، وكذلك للإسلام جانبان. (الطوسي، ١٩٦٠، صفحة ٤٤)

وعلم الباطن له لعته التي لا يستقل العقل بفهمها لأنها لا تدخل فى نطاقه ولا تقع تحت مقولاته، وهو فى مقابل علم الظاهر والذي هو لسان الشريعة وهو علم عامة الخلق والفقهاء والمتكلمون". (جدة، ٢٠٠٩، صفحة ١١). إن فهوم النص الذي يتوقف على ظاهره فحسب، في نظر الصوفية هو كمن يفهم الجمادات. بل إن الدين في أيدي الفقهاء أصبح صورة جسدية بلا روح. والقواعد الحكمية على الرغم أنها تقنع العقل لكنها لا تقنع الباطن أو الذوق (سعيدي، ٢٠٠٥، صفحة ٤٩).لذلك سمى أهل الصوفية الفقهاء و غيرهم من العلماء التي قامت نظريتها العلمية على النص والعقل فحسب بعلماء الرسوم مقابل أهل الفهوم، أو علماء الورق مقابل علماء الخرق (الكشف)، أو أهل العبارة (النصوص) مقابل أهل الإشارة (الرؤوف، ١٩٨٧، صفحة ١٧) (الزهرة، ٢٠٠٦، صفحة ٢٨)

رأى ابن عربي، أن لكل شيء أربع طبقات من المعاني؛ الظاهر و الباطن و الحد و المطلع (ابن عربي، د.ت، صفحة ٥٦٥). الظاهر يعني المعنى الأصلي والجوهري والمعجمي. و الباطن يعني المعنى الضمني أو المجازي. والحد يعني المعنى الدلالي، و المطلع يعني المعنى النابع من الذوق والكشف والإشارة (شعور انكشاف ستار القلوب و نزول هداية الله). إن المعنى الظاهري هو ما يستوعبه معظم الناس (العوام)، ثم المعنى الباطني هو الذي لا يفهمه إلا القليل من الناس (الخواص). ثم المعنى الحد، هو الذي لا يفهمه إلا بعض من الخواص (خواص الخواص) ثم المطلع هو فهم الأنبياء والرسل. (خياطة، ١٩٩٤، الصفحات ٣٠-٣١)

و كذلك ذهب ملا صدرا أن أهل الصوفية يرون كل آية لها أربعة مستويات من المعاني وهي : العبارة (التعبير الشفهي) تختص بعامة المسلمين، والإشارة (ضمني ، رمزي) تختص بأهل التصوف، واللطائف (معنى المأخوذ من إدراك القلب)، والحقائق (معنى الحقيقة). العبارة (الشفهي، معنى المعجمي) تكون عند معظم الناس، والإشارة تكون لأهل الصوفية، واللطائف تختص للأولياء، والحقائق تختص للأنبياء (صالح، ٢٠٠٨، صفحة ٩٦). وما من طائفة تحمل علما من المنطقيين والنحاة وأهل الهندسة والحساب والتعاليم والمتكلمين

والفلاسفة إلا ولهم اصطلاح لايعلمه الدخيل فيهم إلا بتوقيف من الشيخ أو من أهله. (ابن عربي، د.ت، صفحة ١٢٣)

وفى موضع آخر، يذكر ملا صدرا أن الكلام مشتمل على عبارة وإشارة كما أن الإنسان متألف الوجود من غيب وشهادة، فالعبارة لأهل الرعاية، والإشارة لأهل العناية. فالعبارة كالميت المستترفى طي الأكفان، والإشارة كاللطيفة الذاكرة العارفة التى هي حقيقة الإنسان، والعبارة من عالم الشهادة، والإشارة من عالم الغيب، والشهادة ظل الغيب كما أن تشخّص الإنسان ظل حقيقته". (صالح، ٢٠٠٨، صفحة ١٠٠). وهذان المصطلحين: أهل العبارة (الظاهري) مقابل أهل الإشارة (الباطني) هما اللذان يستخدمهما الصوفية في تأويل النظرية النحوية و مصطلحاته.

بخلاف التأويل البياني المرتبط بالنظرية اللغوية كما بيناه أعلاه، فالتأويل الباطني و الإشاري كلاهما لا يرتبطان بأية القواعد أو النظريات اللغوية المعينة مثل التأويل البياني، بل تعتمد تماما على الذوق و الكشف. لذلك فإن الذوق و الكشف من ناحية الاستدلال هما أصل المعرفة الصوفية. والذوق عند ابن عربي هو حال يفجأ العبد في قلبه و هو أول مبادئ التجلي (الحكيم، ١٩٨١، صفحة ٤٩٣). و الكشف عند الصوفية كشف عنه الحجاب أي حجاب الظلمة، فرأى الحقائق لا بعين البصر ولكن بعين البصيرة. (الشرقاوي، ١٩٨٧، صفحة ٢٤٢)

ج- الأمثلة للتأويل الباطني

في هذه النقطة الجوهرية، لن نناقش جميع النظريات و المصطلحات النحوية التي قام بتأويلها بعض الصوفية، ولكن نأتي بعضا منها تمثيلا لها، خاصة فى تقسيم الجملة، والإعراب، و عن المعرفة والحال. باعتبار أن مبحث الجملة في اللغة العربية هو أصل و أساسي. ثم مبحث عن الإعراب باعتبار أن دراسة النحو هي أساسا دراسة الإعراب نفسها. أما مبحث الحال و المعرفة باعتبار أنهما أهم جزء في سلوك الصوفية.

١- الكلام

أ- تعريفه

بدأت الكتب النحوية الكلاسيكية، مباحثها النحوية ببحث الكلام ثم تعريفه و أقسامه، مثلا كتاب الأجرومية، وهو إحدى الكتب الأساسية المتداولة في المعاهد الإندونيسية، بدأ بشرح تعريف الكلام وليس بتعريف اللغة وهو "الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع و أقسامه ثلاثة اسم و فعل ثم حرف". (الصنهاجي، ١٩٩٨)

ومن ناحية أخرى زاد ابن عجيبة فإن الكلام الذي ينفع المتكلم (صاحب الكلام) هو الكلام المركب من القلب واللسان، المفيد بوضعه فى القلب تنويرا أو ترقية وشهودا. وهو الذكر الحقيقي باللسان و القلب، أو بالقلب و الروح أو بالروح و السر وهو دوام الشهود، أو يقصد بالذكر لاكتساب الثواب الجزيل والاحسان الجميل وهو ذكر اللسان و القلب، أو يقص د بالذكر الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر، وما يخرج عن هذه المقاصد فهو كلام عبث وهدر و لهو وتضييع العمر واشتغال بما لا يعني (الحسني، ٢٠١٥، الصفحات ٢٧-٢٨).

والقشيري (٣٧٦هـ-٤٦٥ هـ) في كتابه نحو القلوب ميّز تعريف الكلام المفيد والكلام غير المفيد فى نحو القلب (النحو الصوفي) والنحو غير القلب. فقد رأي أن الكلام المفيد فى نحو القلب هو ما يسمع من

الحق أو يخاطب به الحق، وأما الكلام عير المفيد هو ما ليس لله، وهو لهو. (الحسني أ.، ٢٠٠٨، صفحة ٨).

الكلام التام أو المفيد في النحو الصوفي أو النحو الإشاري فهو ما يساوي بنطق القلب. و نطق القلب إما بلفظ يراعى فيه توقيف الحق، أوقالة أذن فيها الحق تصريف الخلق. فالأول ما تسمع بقلبك فتقف عند ذلك بلا تكلف منك. والثاني ما تناجي به مولاك على مقتضى ما تجد فيه من إشارة البسط، فأحدهما حال جمع، والثاني جال فرق. (الحسني أ.، ٢٠٠٨، صفحة ٣٩٤)

ب- تقسيم الكلام : الاسم و الفعل ثم الحرف

كما أن النحو التعليمي قسم الكلام إلى ثلاثة أقسام وهو الاسم و الفعل ثم الحرف. وكذلك النحو الصوفي قسم الكلام إلى ثلاثة أقسام، إلا أن الفرق بينهما يكون في التعريف و تفسير أقسام الكلام. النحو العربي يعرّف الاسم بأنه كلمة تقبل حروف الجر و التنوين و أل التعريف و حروف القسم. فالنحو الصوفي يركز على معنى باطني من الاسم.

فالمقدسي في كتابه " تلخيص العباره في نحو أهل الإشارة" مثلا، بدأ دراسته ببحث اشتقاق كلمة الإسم، فهو عنده مشتق من السمو (العلو)، بينما أن غيرهم من علماء اللغة يرى أنه مشتق من كلمة السمة (العلامة). وكل أسماء الخلق مشتقة من كلمة السمة، لأن الله وسمهم بتلك الأسماء. أما أسماء الله فإنها مشتقة من كلمة السمو بمعنى العلو، لأن الله العالي يعلو عن من سواه ولا نظير لذاته و صفته. (المقدسي، ٢٠٠٨، صفحة ٢٢).

وبعد أن بيّن المقدسي اشتقاق كلمة الإسم بين السمو والسمة، شرع أن يبين أن الإسم (عند النحو العربي) ينقسم إلى ستة أقسام وهي: صحيح و معتل و معرب و مبني ومنصرف و غير منصرف. وكذلك في نحو القلب أن الأقوال منقسمة إلى صحيح ومعتل. فالصحيح عند النحو العربي هو ما سلم من حروف العلة الثلاثة هي: الواو ، والياء والألف. أما الصحيح أو السليم من القول عند الصوفية هي ما سلم من واو الوسواس، وياء اليأس، وألف الالتباس. (المقدسي، ٢٠٠٨، صفحة ٢٣).

مما ذكر أعلاه، يتضح أن المقدسي يؤول حروف العلة الثلاثة بأنها رمز لأمراض القلوب. فحرف الواو رمز للوسوسة (شك)، والياء رمز لليأس، و الألف رمز للالتباس (التباس في الإيمان). لذلك، فإن تعريف الكلام أي الكلام الصحيح هو الكلام الذي لا تمزجه الأمراض الثلاثة أي الوسوسة و اليأس و الالتباس. والكلام الصحيح يستحق الإعراب. والإعراب في رأي أهل العبارة (اللغويون) هو عبارة عن البيان، أما أهل الإشارة (أهل الصوفية) فيرون أنه عبارة عن انكشاف ستر الظلم عن القلب و القدرة لمشاهدة الحقيقة عيانا بعين البصيرة (المقدسي، ٢٠٠٨، صفحة ٢٤).

وقد فصّل عبد القادر الكوهن (ت. ١٢٥٣ هـ / ١٨٣٨ م) التأويل الباطني لأقسام الكلام الثلاث (الاسم، والفعل، والحرف) أعلاه كما يلي؛ "الكلام الذي يستخدمه العبد للوصول إلى ربه ثلاثة؛ الاسم والفعل والحرف وكل منها يلعب دورا. فالإسم هو ذكر الإسم المفرد وهو الله، هو سلطان الأسماء، وهو إسم الله الأعظم. قال الله تعالى: واذكر اسم ربك و تبتل إليه تبتيلا. (سورة المزمل: ٨).

والفعل هو عمل و مجاهدة لإخضاع الشهوة النفسية. فمجاهدة شهوة الكلام تكون بصمت، و

مجاهدة شهوة النوم تكون بتقليله. وأشدها و أكبرها هي شهوة حب الرياسة، و حب الجاه، و حب المال. وخرق هذه الشهوات النفسية بالذل والفقر والنزول بها إلى أرض الخمول يعنى بعمل كل ما يسقط جاهها ويحط قدرها عند الناس.(الكوهن، د.ت.، الصفحات ٤٢-٤٤).

أما الحرف فيؤول به الكوهن بأنه الهمة والقريحة وطلب الوصول إلى الله تعالى. وهذا الحرف لابد منه فى البداية ، ولكن بعد الوصول إلى الله لا بد طرحه (الكوهن، د.ت.، صفحة ٤٤). فالحرف هوالطمع فى الوصول إلى مرتبة من المراتب. و الحرف ينقسم إلي نوعين؛ الأول الحرف النوراني وهو"الطمع فى الوصول إلى الله إو إلى رضوانه، أو إلى كرامة من كرامات أوليائه، أو إلى نعيمه الدائم.و الثاني، الحرف الظلماني، وهو "الطمع فى الوصول إلى حظ من حظوظ النفس العاجلة كالرياسة والتعظيم والجاه وحب الدنيا وغير ذلك من المقاصد الدنيوية التى يقصدها أهل الهمم الدنية". (نفس المصدر و ص ٤٥).

وبالجملة، فإن تقسيم الكلام إلى ثلاثة أنواع وهي الاسم و الفعل و الحرف فى الحقيقة هو رمز أو إشارة لثلاث المراحل أو المراتب التى لابد للمريد أن يقطعها وهي: الشريعة (للعوام)، والطريقة (للخواص) ، والحقيقة (لخواص الخواص).

٢- الإعراب

أ- تعريفه

الإعراب لغة البيان يقال "أعرب الرجل عما في ضميره" بيّن الرجل ما في قلبه). و عند اصطلاح النحاة الإعراب هو تغيير أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليها (الحسني، ٢٠١٥، صفحة ٤٥). أما في النحو الإشاري أو النحو الصوفي فالإعراب هوتغير أحوال القلوب لاختلاف الواردات الداخلة عليها، فتارة يرد عليها وارد القبض، وتارة يرد عليها وارد البسط. فالقبض والبسط حالتان يتعاقبان على العبد تعاقب الليل والنهار. (الحسني، ٢٠١٥، صفحة ٤٦). وفى موضع آخر يقول ابن عجيبة الحسني بأن "الإعراب فى البواطن هو تغيير أحوال الظواهر لاختلاف الواردات الداخلة عليها، فما كمن عما فى السرائر ظهر فى شهادة الظواهر، تنوّعت أجناس الأعمال بتنوّع واردات الأحوال".(الحسني، ٢٠١٥، صفحة ٤٧).

وخلاصة القول إن ظاهرة تغير أواخر الكلم عند الصوفيين هي تشبه تغير أحوال القلوب. وهذا التغير يكون من دخول المؤثر عليها. ويسمي هذا المؤثر بالعامل في علم النحو، و بالوارد في النحو الصوفي. والعامل في علم النحو اثنان: العامل اللفظي و العامل المعنوي، وكذا في النحو الصوفي هناك واردان : القبض (الخوف الشديد) و البسط (الرجاء)، فهذان الواردان يتبادل وروده في قلب الإنسان كتبادل الليل.

ب- أنواع الإعراب

هناك أربعة أنواع في الإعراب: الرفع (اسمية)، النصب (مفعول)، الجر (نسبة)، و الجزم. الرفع قد تعني العلا و العلوّ و التقديم إلى والتبليغ. والنصب قد تعني أثبت، و أقام و سوّى. و الجر قد تعني جذب أو سحب، و الجزم قد تعني قطع و رشخ و شدّد و وجب. يقول المقدسي أن الحياة الصوفية يدور بين هذه الأحوال الأربعة. فالعارفون أي هؤلاء الذين قد وصلوا إلى مقام المعرفة، يركزون عبادتهم في رفع كل الهمم إلى الله. و العابدون (هؤلاء في مقام العبادة الظاهرة) يركزون عبادتهم في نصب الجوارح لأداء طاعة الله. و الزاهدون يركزون عبادتهم في خفض الشهوة و وضعها تواضعا بين يدي

الله.و المحبون أي هؤلاء الذين وصلوا مقام المحبة الإلهية يركزون عبادتهم في جزم القلب إلى الله و سكون معه. (المقدسي، ٢٠٠٨، صفحة ٢٦).

وبالتالي، فإن تأويل الإعراب الأربعة (الرفع و النصب و الجر و الجزم) في النحو الصوفي هو رفع الهمة، نصب الأبدان، خفض النفوس، و جزم القلوب.

٣- الحال

كلمة الحال لغة بمعنى شأن أو ظرف. في علم النحو الحال هو وصف فضلة منتصب في الجملة لبيان هيئة صاحبه (الحسني، ٢٠١٥، صفحة ١٨٧). و في علم التصوف كذلك يوجد مصلطلح الحال الذي تعني الهيئة لكن من ناحية أخرى. هذه الكلمة غالبا تقترن بكلمة المقام. الحال عند المتصوفين هو "واردٌ يرد على القلب من كشف أسرار الذات وأنوارها، فتدهش الروح وتهيم وتسكر، ويظهر ذلك على الجوارح، فيهتزّ الرأس، ويشطح البدن، ويقال فيها الوجد (النشوة أو حالة السكر) وربما وقع صاحبه فى المهالك وهو لايشعر". (الحسني، ٢٠١٥، صفحة ١٨٩)

القشاني يعرّف الحال بأنه "ما يرد على القلب بمخض الموهبة من غير تعمّل واجتلاب كحزن أو خوف أو بسط أو قبض أو ذوق. ويزول بظهور صفات النفس سواء يعقبه المثل أو لا، فاذا دام وصار ملكا سمس مقاما" (القاشاني،،١٩٩٢ صفحة ٨١). وهذا التعريف ما ذهب إليه أيضا الشرقاوي حيث قال : "إن الأحوال مواهب والمقامات مكاسب. ومعنى ذلك أن كل ما يرد على القلب من غير اكتساب هو من الأحوال كالفرح والحزن والألم والسرور وغيرها، وتأتي من غير تكلف. أما المقام فيصل اليها السالك بالصبر والمجاهدة، بل بالجوع والزهد والورع والقناعة، والرضا والتوكل وإسقاط التدبير وغيرها"، (الشرقاوي، ١٩٨٧، صفحة ١١٥).

وبذالك، يعتبر الحال المسبقات التى تضطرب في قلب السالك قبل أن يرتقي إلى رتبة المقام. وعندما يرتقي السالك إلى رتبة المقام زال اضطرابه و تحول إلى السكون و الطمأنينة كأن أفاق من السكر. وهذا السكون لاستقراره في مقام المشاهدة (مشاهدة الإله) (الحسني، ٢٠١٥، صفحة ١٩٠). و عن هذه الحادثة يروي ابن عجيبة قصة الجنيد. سئل الجنيد ذات مرة: "ما لك كنت تتحرّك عند السماع وترقص، واليوم لم يظهر عليك شيئ من ذلك"؟ و أجاب الجنيد بآية من القرآن :"و ترى الجبال تحسبها جامدة و هي تمرّ مرّ السحاب، صنع الله الذي أتقن كل شيء، إنه خبير بما تعملون".(سورة النمل: ٨٨).

وقد عرض الكوهن تأويل الحال فى ضوء النحو القلبي عرضا شافيا حيث يقول إن الحال هو "الإسم، أي الوصف الفضلة لأنه موهبة ومحض فضل، المنتصب للمريدين السائرين، يرقّيهم من حال إلى حال، ومن مقام إلى مقام. (الكوهن، د.ت.، صفحة ١٥١).

لذلك، فإن الحال، سواء في النحو الصوفي أو فى النحو التعليمي، كلاهما يبينان حالة الفاعل. إلا أن الفرق بينهما أن النحو التعليمي يصف الجانب الظاهر في الفاعل، و النحو الصوفي يصف الجانب الباطن أو القلب في الفاعل أثناء رحلته في اتباع سلوك الطريقة الصوفية، بتقلباتها و تحدياتها. و ووجه الشبه بينهما أيضا هو أن الحال فى كل من النحو التعليمي و النحو الصوفي ليس عمدة لكنه فضلة و موهبة، يتبدل دائما، يتبادل بأخراه حسب سياق الجملة في النحو التعليمي و حسب المقام في النحو الصوفي أو النحو القلبي.

٤– معرفة و نكرة

إن المعرفة بالله بالطبع هو الهدف الأسمى للإنسان في سلوك الطريقة الصوفية. سالك الطريقة على مر السنين يجاهد نفسه في كسر الشهوة، والأنانية، وتصفية القلب، و مداومة الذكر، وغيرها مما يتقرب به السالك إلى الله حتى يصل إلى الهدف النهائي وهو المعرفة. و من ذلك، فالنحو الصوفي قد اهتم بتأويله أكثر شمولا مما كان عليه النحو التعليمي. وهذا الجانب قد نال بعض الدراسة قام بها رحيمة وزملائها. (رحيمة إمبونج و سيد محمد حفيظ سيد عمر و فاضل أدم، ٢٠١٩).

المعرفة في حد النحو التعليمي هي اسم لشيء أو يدل على شيء معين و محدّد، و ضدها النكرة (غير محدد)، إلا أن ابن عجيبة أكد على أن ذكر أنواع الكلمة المندرجة في المعرفة أسهل من تحديد تعريفها. وذلك لأن من الأسماء ما معرفة لفظا، نكرة معنى،كأسامة وثعالة. ومنها ما هو نكرة لفظا، معرفة معنى، نحو كان ذلك عام أول. ومنها ما يستعمل بالوجهين، نحو : واحد أمه، وفريد عصره، عبد بطنه وغير ذلك. (الحسني، ٢٠١٥، صفحة ١٤٨) أما الأسماء النكرة فهي كل الأسماء التي لا تدل على شيء معين و تقبل أداة التعريف الألف و اللام.

و رأى القشيري، كما أن من الأسماء ما هي معرفة و نكرة، كذلك العباد منهم معروف، له نصيب مع القوم، هو به معروف، ومقام فى الصدق، هو به موصوف، و منهم منكّر، لا نصيب له مع القوم، ولا حظ له سوى الأكل والنوم (الحسني أ.، ٢٠٠٨، صفحة ١٢٩).

وقد ذكر في المقدمة الأجرومية أن المعرفة خمسة أشياء: ١) الإسم المضمر مثل أنا وأنت ، ٢) الإسم العلم (اسم أو لقب) مثل زيد ومكة ، ٣) الإسم المبهم (اسم الإشارة) مثل هذا، هذه، هؤلاء ٤) الإسم الذي فيه الألف واللام مثل الرجل، الغلام ، ٥) كل الأسماء المضافة إلى هذه الأسماء الأربع السابقة (الحسني أ.، ٢٠٠٨، صفحة ١٤٨).

وكذلك المعرفة بالله إنها تتجلى في خمسة أمور. فمن عرف ربه بهذه الأشياء الخمسة فهو عارف، ومن جهلها أو أثبتها مع الله فهو تالف. و تلك الأشياء الخمسة (الحسني، ٢٠١٥، صفحة ١٥٥) هي:

١– الكائنات (اعتراف النفس) بعبارة "أنا أو أنت". إذا قلت "أنا أفعل (هذا) أو أنت الذي تفعل (ذلك) إنك إذن ما زلت جاهلا (لم تكن عارفًا بالله) ومشركا (تشرك بالله)".

٢– أسماء الأشخاص والأماكن. إذا عرفت أن أثر الله تتجلى في كل اسم ومكان فأنت إذن أصبحت عارفًا. لكن إذا ما زلت تقرّ و تدعي أن وجود الاسماء والأشياء شارك في وجود الله، فأنت لا تزال جاهلا. قال ابن عطاء الله في حكمه:الأكوان ثابتة بإثباته، ممحوّة بأحدية ذاته، ما نُصبت لك العوالم لتراها بل لترى مولاها.

٣– المبهمات من الكائنات، مثل القول هذا فعل كذا (هذا "الرجل" قد فعل هذا) ، هذه فعلت كذا (هذه "المرأة" قد فعلت كذا).فمادام العبد ينسب التأثير للغير ويتوقع منه ضررا أو نفعا فهو جاهل بالله.

٤– الجاه الرياسة الظاهرية كالسلاطين والقواد وغيرهما. وكذلك أهل الرياسة الباطنية كالأولياء والصالحين، فمن عرف الله فيهم،

ورأى أنهم مصرّفون تحت قهرية الحق يتصرفون بقدرته وإرادته، ليس بيد أحد منهم شيئ، بل لا وجود لهم مع الحق فهو عارف. ومن أثبت لهم ضررا أو نفعا ودخل قلبه منهم جزع أو خوف فهو جاهل بالله.

٥- ما أضيف لواحد من هؤلاء، كالأصحاب والعشائر فهم بمنزلتهم، لا وجوه لهم ولا تأثير، كان الله ولا شيئ معه، وهو الآن على ماكان عليه. نعم، الإضافة لها تأثير فى المضاف، فمن انضاف إلى أهل العز بالله تعزز ودام عزه، ومن انضاف إلى أهل العز بالخلق أو بالمال، مات عزه وأعقبه الذل.

خلاصة

مما سبق ذكره من الشرح والبيان عن تأويل بعض الصوفية فى تعريف النحو ومصطلحاته، نلخص أهم النقاط مما يتعلق بنظر هؤلاء القوم عن الحقيقة أو الوجود أو الواقع ومن ضمنه الوجود النصي. لكل وجود عندهم طبقات أو مستويات الأبعاد والمعاني. وهذه النظرة ما تترتب عليه نُظُمهم المعرفي : الإبستيمولوجي، والأكسيولوجي (نظرية القيم) التى تتجاوز الأبعاد الظاهرية أو الخارجية والتى تنير العقل وتقنعه مع إهمال الجانب الروحي. ويرى الصوفية أن القيم الروحية تنطوى فى كل الموجودات والكائنات ومن ضمنها الكائنات المتجسدة فى النظريات النحوية ومصطلحاته.

المراجع

محي الدين ابن ابن عربي.د.ت .*الفتوجات* المكية. القاهرة: الهيئة العامة لدار الكتب و الوثائق القومية.

سعيد الأفغاني .(١٩٩٨) . *من تاريخ النحو* .بيروت: دار المعارف.

أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري .(١٩٧١) .*الإغراب في جدل الإعراب* .بيروت: دار الفكر.

ابن السيد البطليوسي. (١٩٨٧) .*الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين* .دمشق: دار الفكر.

محمد بن السري البغدادي .(١٩٨٠) .*الأصول في النحو* .القاهرة: مؤسسة الرسالة.

عمرو بن بحر الجاحظ .(١٩٦٨) .*البيان و التبيان* .الكويت: المكتب العربي.

أحمد بن عجيبة الحسني .(٢٠٠٨) .*نحو القلوب الصغير و الكبير* .مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

سيد أبي عباس أحمد بن عجيبة الحسني .(٢٠١٥) .*الفتوحات القدسية في شرح المقدمة الأجرومية* .بيروت: دار الكتب العلمية.

سعاد الحكيم .(١٩٨١) .*المعجم الصوفي: الحكم في حدود الكلمة* .بيروت: دندرة للطباعة و النشر.

القاسم محمود عبد الرؤوف .(١٩٨٧) .*الكشاف الحقائق الصوفية لأول المرة* .بيروت: دار الصباحة.

هدى فاطمة الزهرة.(٢٠٠٦). *جماليات الرمز في الشعر الصوفي، محي الدين بن عربي نموذجا* .الجزائر: كلية الأدب و العلوم الإنسانية جامعة أبو بكر بلقيد.

حسن الشرقاوي .(١٩٨٧) .*معجم الألفاظ الصوفية* .القاهرة: مؤسسة مختار.

أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي .(١٩٩٨) .*متن الأجرومية* .سعودية: دار السميع للنشر و التوزيع.

محمد الطنطاوي. د.ت .*نشأة النحو و تاريخ أشهر النحاة*. القاهرة: دار المعارف.

أبي النصر السراج الطوسي (١٩٦٠) . *اللمع* .مصر: دار الكتب المصرية.

أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري .(١٩٩٨) .*الرسالة القشيرية* .بيروت: دار الكتب العلمية.

عبد القادر .الكوهن د.ت .*منية الفقير المتجرد و سيرة المريد المتفرد، مختصر شرح ابن عجيبة على متن الأجرومية* . حلب: دار الحياة.

أحمد بن مصطفى المراغي .(١٣٨٥) هـ .*تفسير المراغي* .مصر: شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده.

عز الدين عبد السلام بن أحمد المقدسي .(٢٠٠٨) .*تلخيص العبارة في نحو أهل الإشارة* .مصر: الهيئة المصرية العامة.

محمد الأمين بن عبد الله الأرمي الهرري. (١٤٢١) .*حدائق الروح و الريحان* .بيروت لبنان: دار طوق النجاة.

على إسماعيل جدة.(٢٠٠٩). *الظاهر و الباطن دراسة فلسفة الصراع بين الصوفية و الفقهاء و إمكانية اللقاء* . القاهرة: كلية الدراسات الإسلامية و العربية للبنين.

نهاد خياطة .(١٩٩٤). *دراسة في التجربة الصوفية* . دمشق: دار المعرفة.

المصطفى سعيدي.(٢٠٠٥) .*ابن عربي، تجربته الصوفية و الشعرية من خلال ديوانه ترجمان الأشواق* .الكاب الغربي: كلية الفنون و الأدب جامعة الكاب الغربي.

محسن صالح.(٢٠٠٨) .*منهجيات صدر المتعلمين في التفسير القرآني في القراءات المعاصرة في النص القرآني* .بيروت: مركز الهيئة لتنمية الفكر الإسلامي.

شوقي ضيف .(١٩٦٨) .*المدارس النحويين* .القاهرة: دار المعارف.

ميلود عزوز .(٢٠١٢) .*أثر الذوق الصوفي في الثراء اللغوي و الأدبي* .الجزائر: قسم اللغة العربية و أدبها، كلية الأدب و اللغة جامعة أبي بكر بالقيد.

رشيد عمران .(٢٠١٧) .*التأويل و إنتاج الدلالة في النص الصوفي ابن العربي أنموذجا* .الجزائر: رسالة الدكتورة قسم اللغة العربية و أدبها جامعة بثنى الجزائر.

محمد عيد .(١٩٨٢) .*أصول النحو العربي في نظر النحاة و رأي ابن مضاء و علماء اللغة الحديث* .القاهرة: عالم الكتب.

مصلح النجار و أصحابه .د. ت .*نشأة النحو العربي* .القاهرة: دار المعارف.

Kholid Husein Abu Amsah. (2021). *At Ta'wil an Nahwi.*diunduh dari www.alukah.net/literatur_language, pada tanggal 24 maret 2021, pukul 15.00 WIB

Rahimah Embong, et al. (2017). *The Concept of Ma'rifah in Arabic Grammar in Al-Qushayri's Naḥw Al-Qulūb Al-Kabīr*.diunduh dari https://www.researchgate.net, pada tanggal 23 juni 2021, pukul 14.00 WIB.